

أزمة الخطاب

حضرت خطبة الجمعة في أحد المساجد، فألقى علينا الإمام خطبة تحتاج إلى شرح لمفرداتها، وقد حشاها بكلمات لا يعرفها كثير من طلبة العلم: كالوكس والشطط ونحو ذلك. وكان عنوان الخطبة عائماً غائماً هائماً، ولم أدر ماذا يريد أن يقول؟ واتهمت عقلي، ولكنني التقيتُ بعد الصلاة بعض طلبة العلم فشاركوني الرأي، وعجبنا كيف ترك الخطيب منهج الشريعة في السهولة واليسر والوضوح، وذهب بعيداً إلى الغموض والألغاز والتمويه؟

ألا يعلم أن جمهوره هو السواد الأعظم من العامة وأنصاف المتعلمين، فإذا كنا نحن طلبة العلم لم نفهم خطبته المغمزة المطلّسة فكيف بغيرنا من العامة؟ ما الذي دعاه إلى سلوك الطريق الوعر الشائك، وترك السهل الواضح؟ ومثل ذلك غالب الدروس التي تُلقى في المساجد، فبعضها يُبث في التلفاز، والشيخ يتكلم عن شروط البيع والإجارة وميراث المفقود، وجمهوره من أصقاع آسيا ومن أذغال أفريقيا، وكثير منهم لا يعرفون العقيدة الصحيحة ولا أصول الدين، ولا أجدديات الشريعة.

لماذا لا يفهم الشيخ مستوى هذا الجمهور، وماذا يريد وماذا يحتاج إليه؟ لماذا تُحوّل كل الدروس إلى دروس أكاديمية تخصصية؟ لماذا لا يكون غالبها دروساً في المعتقد الصحيح، وما يلزم المسلم معرفته، وما يجب عليه اجتنابه؟ ما رأيك إذا كان في الحضور من يطوف بالقبور، ويتبرك بالأموات، وبيدع في الدين، ثم يأتي الشيخ المحاضر ليدرّس هذا العامي: خيار المجلس وبيع العينة وتلقي الركبان ونحو هذه المسائل، التي غيرها أولى منها وأجدر؟ إن المساجد في حاجة إلى دروس عامة سهلة ميسرة بخطاب بليغ، وبيان شافٍ كافٍ، وأسلوب متميز، وإلقاء جذاب، وفي خطباء المساجد من أجاد وأفاد، ولكن الغالب يعلق

الخطاب ويغلقه، ويجعله نخبويًا ثقافيًا تائهاً، لقد قرأتُ كتب الخطابة وزاولتها سنوات طويلة، وسافرتُ في شتى البلدان، وخرجتُ بنتيجة مؤداها: أن البساطة في الخطابة، واليسر في الحديث، والوضوح في العبارة، والكلام عن جوهر الدين وقواعد الملة وأصول الشريعة، هو أفضل سبيل لتفهيم المسلمين دينهم، وغالب الخطباء والأئمة لم يتلقوا تدريباً من قبل على الخطابة والتدريس، ولم يمارسوه طويلاً، ولكنهم فجأة وجدوا أنفسهم يخاطبون الناس بخطاب يصلح في مسجد فيه بعض طلبة العلم المتخصصين، ففقدوا بهذا الخطاب جمهور المسلمين.

وإن من الواجب علينا أن يكون عندنا قناة فضائية خاصة تنقل للمسلمين بلغاتهم خطبة الجمعة والدروس بعد أن توجه هؤلاء الخطباء والأئمة، ليصبحوا قادرين على مخاطبة الناس، أمل من الخطباء والأئمة أن يبتعدوا عن التعمق في العبارة، والتشدد في الألفاظ، والتكلف في الجمل، والغوص في مسائل عائرة، ليست هي المهمة للسامع والمشاهد.

إخواني الأئمة والخطباء: إن الدين يسر يقتضي منا أن نسهل طرحه على الناس، ولا نشق عليهم في معرفته، ولا نبتعد عن هدي الرسول ﷺ في السهولة والوضوح، وترك التعمق والتطع والتشدد والتفهيق، فليست من صفات المسلم فضلاً عن الإمام والخطيب والعالم، أمل أن تُقبل نصيحتي إشفاقاً على الأمة، ورحمة بها، وحرصاً على نفعها، وآمل من إخواني الأئمة والخطباء التحدث عن العقيدة الصحيحة وما يضادها، وأركان الإسلام والإيمان والإحسان، وأصول الأخلاق، وما ينفع المسلم في الدنيا والآخرة، تحت مظلة الكتاب والسنة، بخطاب السلف السهل الأصيل، المفيد النافع المبارك.



الطائفية تدمر الأمة

بين المسلمين تطاحن داخلي واقتتال طائفي، شلَّ حركتهم، ومزَّق صفوفهم، وشمَّت بهم أعداءهم؛ إذ إن كل طائفة تدَّعي أنها المحقَّة الوحيدة وما سواها باطل، وأنا أعلم علم اليقين أن ليس كل الطوائف على حق، وأن الله لا يترك عباده كلهم على ضلالة، بل الحق في اتباع الكتاب والسنة، وفهمها على لغة العرب كما فهمها الرسول ﷺ وأصحابه، ولو قال قائل: كل طائفة تدَّعي هذا فتقول: إن العلماء الراسخين يعلمون بصحة النقل المعتقد الصحيح، الذي كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه وما سواه باطل، وهذا لا يحتاج إلى أعمال ذهن ولا الاستعانة بصديق، لكنني هنا لستُ بصدد ذكر المحق من المبطل، ولكنني في موقف المحذّر المنذر بالخطر الداهم والطوفان القادم، الذي اجتاح الأمة، وهو خطر الطائفية، التي عصفت بأكثر من بلد مسلم، فأفغانستان بعدما دحر مجاهدوها الاتحاد السوفيتي قام قاداتها السبعة بالاقتتال الداخلي، وكل قائد منهم يرى هو وأتباعه أنه المحق المصيب المجاهد في سبيل الله وقتلهم شهداء، وأن أخاه القائد الآخر ضالٌّ مضلٌّ معتدٍ باغٍ من حزب الشيطان، فأسقط بعضهم بعضاً، وذبح المسلم أخاه بدم بارد، وصاروا ضحكة للعالمين، وأتت طالبان فقاتلتهم واستولت على أفغانستان، ثم قامت بتصرفات رعناء حمقاء بلهاء، فسقطت ودُمّرت أفغانستان.

وقام العراقيون بطوائفهم تحت مظلة قتال المحتل فقتل العراقي أخاه العراقي وصار قتلى العراقيين بيد العراقيين أكثر مما قتل الأمريكان، وكل طائفة ترى أنها الحقيقية بنصر الله، وأنها المهمة المسددة، وكل طائفة سواها خارجة عن الإسلام، تستحق المقاتلة والحرب، وفي لبنان تهيأت كل طائفة لقتال الأخرى لتعيد الحرب الأهلية المشؤومة التي مزقت لبنان، وعاد حزب الله من جنوب لبنان بسلاحه فضوّبه في نحور اللبنانيين؛ ليلغي كل إنجاز حققه، وفي اليمن شبَّ القتال الطائفي بين الحوثيين والحكومة لاختلاف في فهم النص وتأويل الشرع ولا تزال الحرب طاحنة، وهناك طوائف ساكنة كامنة كمون البارود في الجمر، تنتظر أي حركة

لتقاتل في سبيل الله على زعمها، وتقتل كل مخالف لها من الطوائف الأخرى، ولقد تحقق قول الله عز وجل في الأمة لما ترك غالبها الاتباع الصحيح للكتاب والسنة: ﴿أَوْ يَلِيْسَكُمْ شَيْعًا وَّيَذِيْقَ بَعْضُكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ﴾، وكل طائفة يقوم أساطينها ورموزها بشحن أتباعه ضد الطائفة الأخرى.

فصارت بلاد الإسلام هي بلاد الاقتتال والنزاع والتفجير والتدمير، وإذا تابعت الأخبار العالمية وجدت المنطقة الساخنة هي بلاد الإسلام، حتى إن طائفة تدعي الجهاد في سبيل الله اقتصرت عملياتها على المسلمين في الرياض والقاهرة ودمشق وبيروت والرباط والجزائر وموريتانيا، ونجا الجيش الإسرائيلي المحتل المغتصب من أي عملية لهؤلاء الفاتحين، ومن لم يحمل السلاح على أخيه المسلم حمل عليه القلم واللسان: سباً وشتماً وتجريحاً وتشويهاً وتشهيراً في الصحف والقنوات الفضائية والإنترنت، فشغلنا بأنفسنا، وتطاحننا فيما بيننا، وتعطلت حياتنا من الإنتاج والاختراع والإبداع والتصنيع، وذهب غيرنا يسافر بعلمائه في فضاء الله الواسع وكونه العجيب، يخترع ويكتشف ويحلل ويستنتج، ففريق منهم سافر إلى عطارد والمريخ، وغيرهم سبر أعماق البحار، وآخرون إلى أعماق التربة، فهدرت مصانعهم، وقامت معاملهم وصاروا في ورشة عمل، وبقي الكثير منا يعدّ العدة: إما بالنية أو بالعمل للوقية بأخيه المسلم في غياب أهل العلم الراسخ والرأي السديد؛ ليقود القافلة حدثاء الأسنان سفهاء الأحلام، الذي يصدر أحدهم فتوى في الدماء والقتل، وكأنها فتوى في زكاة الفطر والمسح على الخفين والسواك، فهل آن للعقلاء من كل طائفة أن يتداركوا أمرهم، ويهبوا هبة رجل واحد لتدارك أمر الأمة، وأخذ زمام المبادرة، وإنقاذ العباد والبلاد من الفتنة المشتعلة والظوفان الجارف؟



يوم أهملنا الرياضة

حث الإسلام على حفظ العقول والأبدان، ومن حفظ الأبدان تقويتها بالمشي والرياضة، وكان الرسول ﷺ وصحبه الكرام يمشون كثيراً، ويثبون على ظهور الخيل وثباً، حتى قال البوصيري:

كَأَنَّهُمْ فِي ظُهُورِ الْخَيْلِ نَبَتْ رُباً
مَنْ شَدَّةِ الْحَزْمِ لَا مِنْ شِدَّةِ الْحُزْمِ

ولهم في الصيد والمصارعة والمنازلة والسباق بالأقدام والخيال قصص مشهورة، وكانوا من أقوى الناس أجساماً، وقد أدركنا في حياتنا من الآباء والأجداد من بلغ المائة وزاد عليها محتفظاً بقوته وصحته، يصعد الجبل بسهولة، ويشارك في العمل والزراعة والعرضة بنشاط ظاهر، ثم جاء جيلنا فجاءت السمنة والترهل والسكري والضغط والجلطة وأمراض أخرى من كثرة الجلوس وإهمال المشي وترك الرياضة مع كثرة الأكل، فوقع الغالب في مرض السمنة، والسمنة داء مزمن حذر منه العقلاء والأطباء، ودعوا إلى المشي، حتى نقل الرازي أن أطباء العالم أجمعوا على أن أفضل رياضة هي المشي، ومن ترك المشي تركه المشي، أي: إن من أهمل المشي في شبابه فسوف يتمنى المشي إذا شاخ ولن يستطيع، وكان الشافعي يقول: «السمين زمين» أي: مريض دائماً، ويقول: «ما أفلح سمين قط إلا محمد بن الحسن الشيباني» يقصد العالم الحنفي، أي أن غالب أهل السمنة أهل أمراض وأزمات، وكان عمر بن الخطاب يأمر رعيته بالتقشف والخشونة والرجولة وركوب الخيل وترك الترفه والبذخ والإسراف. وقد ذكر العلامة ابن خلدون: أن هرم الدول وشيخوختها يبدأ مع البذخ والسرف، ونحن بحاجة ماسة إلى توعية شاملة بالرياضة خاصة المشي، وأن تكون في كل مدينة طرق واسعة للمشاة، وتبنيه دائم بضرورة المشي في وسائل الإعلام، ورعاية مستمرة من الدول

بحثٍ رعاياها على الحركة والمشى، وبعض الأطباء ذكر أن السمنة تنتج أكثر من خمسة وعشرين مرضاً، ويقضي المشى عليها جميعاً، ومن مشى طويلاً عاش طويلاً، والبركة مع الحركة، ومن رضى بالجلوس الطويل وأهمل الرياضة والمشى زارته الأوهام، وتعاهدته الأستقام، وباغته الهرم في أعوام، وأجسادنا مهددة بالسقم ما لم نعد سياسة حياتنا، ونراجع حسابنا مع الرياضة والحركة والمشى، فهل آن الأوان لأن نجعل في برنامجنا اليومي حصة المشى: إما صباحاً أو مساءً لا تقل عن نصف ساعة، نمشي ونذكر الله كثيراً مع شرب الماء، لتعود لنا اللياقة البدنية، فإن العقل السليم لا يكون إلا في الجسم السليم، وإن أمراض السمنة تهدد مستقبلنا، وهي التي تعيق حركتنا ونشاطنا وإنتاجنا وإبداعنا، وتجلب لنا أمراضاً أخرى تشل من قدرتنا العقلية والجسدية، وفي الحديث: «علموا أبناءكم الرماية والسباحة وركوب الخيل».

وقد عرفت أناساً في جبال السروات بلغوا المئة وزادوا، يثب واحد منهم إذا مشى، ويمعد قمم الجبال بسهولة، ويصيب الهدف إذا رمى، ويذهب للصيد، ويقفز في الحفلات بالسيف والخنجر بلا سمنة ولا كرش، بل تراه قوياً نحيفاً، إذا صافحته أمسك كفك وهز يدك، ثم عرفت شاباً قاربوا الأربعين عطلتهم السمنة عن الحركة، فترهلت أجسامهم، وكثرت أمراضهم، وإذا مشى أحدهم صار له فحيح كفحيح الحية، يحمل أمامه كرشاً يُعذب بها في كل مكان، تسبقه إذا جلس، ولا يقوم إلا بشق الأنفس، ضاق بها ذرعاً، تسبقه إذا مشى، وتقيد إذا تحرك، وتمنعه من معانقة أصحابه والسير مع زملائه، ونصيحتي أن نفكر تفكيراً جاداً في إعادة النشاط إلى أجسادنا وطريقة أكلنا، ونهجر كثرة الجلوس والنوم إلى حياة ملوثة العمل والنشاط والمشى والحركة، ويكون في جدولنا اليومي صلاة ومشى ورياضة وسياحة وقراءة وأكل ونوم، أما أن نختصر أيامنا في الأكل والنوم والسوايف وكثرة الجلوس، فمعناها أننا قررنا تقصير أعمارنا، وإهمال أجسادنا، فهل آن الأوان لحفظ الأبدان والأذهان والاستفادة من الزمان؟



صنم القبيلة

أكثركم شاهد مهرجان الشعراء وافتخارهم بقبائلهم، وأنهم ذبّاحة القوم، وأنهم يصبّحون الأعداء بالبارود، وأنهم لطامة الخشوم، والمقصود طبعاً القبائل المجاورة من المسلمين المحرّمة دماًؤهم وأموالهم وترويعهم؛ لأن القبيلة لم تقاتل إسرائيل ولا روسيا ولا الصين، وافهموا الرسالة ومعناها: أن قبيلتنا هي أفضل القبائل وأشجعها وأكرمها، وأنها كانت قبل توحيد السعودية تهزم القبائل المجاورة، وتحتل أراضيها وتتهب إبلاها، وافهموا الرسالة: أن القبيلة صاحبة المهرجان لا بد من أن يحسب لها ألف حساب.

فهل كانت الحروب هذه في سبيل الله؟ علماً بأن هذه القبائل لم يحضر منها أحد في معركة بدر ولا أحد ولا القادسية ولا اليرموك، وإنما المقصود الغارات والنهب والسلب، الذي كان قائماً قبل مشروع الوحدة، ويستمر التأجيج والتصعيد والتحريض وتهميش القبائل الأخرى مع سكوت من المسؤول والعلماء ورجال الإعلام والفكر، وأول النار شرارة كما قال نصر بن سيار:

فإن النار بالعودين تُذكى

وإن الحرب أولها كلامٌ

وأعرف أن بعضهم إذا قرأ هذه المقالة سوف يقول: هوّلت الأمر، وضخّمت الحدث، ولكنني قرأت التاريخ بتمعّن، فإذا ببعض الأحداث الصغيرة البسيطة التافهة، التي لا يُلتفت إليها كانت هي الفتيل لأزمة كبرى ومعركة طاحنة، وقد استمعتُ إلى غالب القصائد التي أُلقيت، فإذا هي تتحدث عن حقبة زمنية سابقة، وإذا هي تكرّس التفاخر بالقبيلة على حساب القبائل الأخرى، وتعميق العصبية والنعرات الجاهلية، وإذا استمرت هذه النعرات فسوف تنشأ عندنا بوادر لحرب أهلية، سوف تتم تدريجياً مع السنوات (وأول الغيث قطر ثم ينهمرُ)،

وسوف يتجرأ الشعراء مع قلة الوعي وضعف الذمة على التحرش بالقبائل الأخرى وإعادة ذكريات الغزوات الجاهلية والثارات القبلية والعنصرية القبيحة، التي أتى الإسلام لمحاربتها، ثم تقوم القبائل الأخرى بالرد والتصعيد، ثم تبدأ المهاترات والمناوشات، ثم الاشتباك بالأيدي، ثم اللطم، ثم العض، ثم اللكمات، ثم السلاح الأبيض، ثم الرشاش:

نظرة فابتسامة فسلام

فكلام فموعد فلقاء

أفيقوا أيها الناس، وتذكروا نعمة الله عليكم بالإسلام وتوحيد الكلمة، وجمع الصف تحت راية (لا إله إلا الله محمد رسول الله)، وابتعدوا عن تمزيق البلاد، وإضعاف الوحدة، وإيغار الصدور، وزرع بذور الفرقة والفتنة ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾، واقترح أن يكون هناك (مزاين للعقول المبدعة)، يُكرم فيه المهويون والتميزون في العلم والأدب والإنتاج والوظيفة وحسن الخلق، فتكريم الإنسان أعظم من تكريم الحيوان، وبعض الأمم سافر أبنائها في المركبات الفضائية، يكتشفون الفضاء إلى عطارده والمريخ، وما زال بعض شعرائنا يمدح قبيلته بأنها كسرت خشوماً، ولطمت وجوهاً، وأذلت قوماً، وهزمت آخرين، وفرضت احترامها على القبائل، وكل الناس يهابونها، بينما كثير من أهل هذه القبيلة يعيشون في شظف من العيش.

وأعوذ بالله من هذه النعرات، كيف حقّرت ما عظم الله، وعظّمت ما حقّر الله، فالله حقّر العصبية الجاهلية، والفخر بالأنساب، والطعن في الأحساب، وعظّم سبحانه دينه وكتابه وسنة رسوله ﷺ، وأخوة الإيمان، وجمع الكلمة، فنعكس هؤلاء أمر الله بجهلهم واتباعهم أهواءهم ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عَاوِجٍ مَحْمَمٍ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَلِقَابِهِ، وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشًّا فَمَنِ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾.



لا تقتلوا خطبة الجمعة

خطبة الجمعة عبادة مقدّسة لا يستطيع أحد أن يلغيها من حياة المسلمين؛ لأنها كالصلاة لها هيئة خاصة ومكان خاص وزمان خاص، وإنما شرّعت خطبة الجمعة للوعظ والتذكير وزيادة إيمان الناس ببرهم وتفقيهم في الدين ووصيتهم بتقوى رب العالمين، وكان رسولنا ﷺ إذا خطب هزّ القلوب، وأبكى العيون، وسافر بالأرواح إلى العالم العلوي، كما قال شوقي يمدح النبي ﷺ:

وإذا خطبتَ فللمنابرِ هزّة
تعلو النُدى وللقلوب بكاءً

وقال الزبيري يمدح الرسول ﷺ:

ما بنى جملة من اللفظ إلا
وابتنى اللفظ أمة من عفاء

وكان ﷺ يأمر بالإيجاز في الخطبة، وسار على ذلك خلفاؤه الراشدون والأئمة المصلحون، فخلف من بعد ذلك خلف أطالوا الخطبة وأماتوها، وخرجوا بها عن مقصدها، فجعلوها ثقافية فكرية سياسية، لا روحانية ربانية شرعية، فجرّدوها من الأدلة، وأسهبوا في الحديث، وأشغلوا الناس بقضايا لا ناقة لهم فيها ولا جمل، ولا يستطيعون تقديم شيء، إنما حرموهم من الاستفادة، فبعض الخطباء يقرأ في أوراقه بصوت ضعيف، ولحن ظاهر مع كثرة التنحنح والسعال والشهيق والزفير والعطاس، فلا ينتهي إلا وقد نكّل بالناس وأزعجهم، وبعضهم إذا سمعته كأنه يقرأ من صحيفة، إذ يلقي كلاماً بارداً سامجاً ثقيلاً مملاً، يدخل به في كل موضوع، ويعالج مشكلات كثيرة مع الإسهاب والإطناب دون مراعاة لحالة السامعين، فيتكلم في المدينة عن مشكلات البادية، ويخطب بالقرية عن الغزو الفكري، ويحدث الأعراب عن حوار الأديان، وهذا من ضعف البصيرة وضحالة العلم وقلة الفقه،

وبعض الخطباء يخطب وهو غضبان على المصلين، زعلان منهم، طفشان حاقد على تصرفاتهم، يتهددهم ويتوعدهم من على المنبر، ويدعو عليهم بالويل والثبور وعظائم الأمور وقاصمة الظهر، وكأنه التقي وحده المنزه المعصوم المجتبي، وما سواه مذنب مخطئ ضالّ، وبعض الخطباء لا يحضر الخطبة ولا يستعد للمقام، فيرتجل ويأتي بالعجائب، ويتكلم عن حقوق الجار، ثم حسن الخلق، ثم فضل تلاوة القرآن، ثم ضرورة فتح بيت المقدس والإشارة إلى السلام مع إسرائيل، والتنديد بالدمرك، وذكر مناقب عمر بن الخطاب والدعوة لتيسير مهرور الزواج.

إن حاجتنا ماسة إلى معاهد لتعليم الخطابة في كل مدينة، وقد فعلتها مصر وتركيا واندونيسيا، أما أن نترك منابرنا حقول تجارب للأمينين وأشباه المتعلمين، يعجنون عليها الكلام ويطحنون الحديث، فيعذبون عباد الله، فهذا خطأ منهجي. لا بد من إعادة الدراسة لخطبة الجمعة؛ لتؤدي رسالتها ويحصل الانتفاع بها، وتكون مناسبة إسلامية لزيادة الإيمان بتهذيب النفس وتطهير الضمير وإصلاح المجتمع. ونصيحتي للخطباء أن يتحدثوا فيما ينفع السامع، ويعظم التقوى عنده، ويزيد من طاعته لربه وعبادته لمولاه، ويتركوا الحديث عن مشكلة دارفور جنوب السودان، وأزمة لبنان ومشكلة الحوثيين في اليمن، يتركوها لمؤتمرات القمة العربية المباركة، أما إشغال الناس بدهاليز السياسة وفتات الثقافة وهذيان الفكر فهذا هوس، ونصيحتي للخطباء أن يبسطوا العبارة ويسهلوا الكلام، وابتعدوا عن التشدد والتفهيق والتعمق، كقول أحدهم في عبارات سامجة سخيفة: إن الدعوة إلى الله تنطلق من أطر، وتنبثق من بوتقة الوعي، الذي ينصهر في ذهنية المتلقي. مع قدر مشترك من عقلية متناغمة بين المتحدث والسامع، وأقول: الحمد لله على نعمة العقل.



غلاء الأسعار

أصبح غلاء الأسعار حقيقة واقعية وقضية عالمية شغلت الرأي العام، وأصبحت ورقة يتلاعب بها الكبار فيما بينهم، والضحية هم الصغار من الفقراء والمساكين والأيتام، وغلاء الأسعار نار لا يكتوي بها إلا البسطاء، الذين يسكنون بيوت الصفيح والطين والخيام، وينامون على الأرصفة، ويجاهد أحدهم يومه كله؛ ليحصل على رغيف خبز، مع قلة مبالاة من أهل الثراء الفاحش والغنى الطاغي، ويظن من جمع القناطر المقتطعة، وجمّد الرصيد الهائل في البنك أن لا مسؤولية عليه شرعية أو أدبية تجاه هؤلاء الفقراء المعوزين؛ لأنه قد آمن مستقبله وخطط لحياته، ولكن ﴿إِنَّ رَبَّكَ لِبِالْمِرْصَادِ﴾ فتجد العقوبات الإلهية والسياط الربانية تتهاوى على رأس هذا البخيل الكنود الشحيح، الذي منع زكاة ماله، وحبس صدقته، وبخل بمعروفه؛ فبئس بخل بخصارات مالية هائلة، وبأمراض فتاكة مضية، بل إن غالب التجار الكبار يصابون بالسكري والضغط والقلق، ورأينا منهم من يداوم على عقاقير مسكّنة؛ لأنه تحوّل عبداً للمال وخادماً للثروة، فكلما تعرض لنكسة مالية أنفق من صحته، ودفع من راحته وأمنه الداخلي ضريبة لهذه المصائب المالية والكوارث الاقتصادية.

وبالمقابل نجد الفقير غالباً يتناول رغيفه وينام نومة هادئة، أما عبد الدنيا والدولار ففي قلبه نار من تذبذب الأسعار، وانخفاض الدولار، على مذهب (نار يا حبيبي نار).

نحتاج نحن الشعوب في ظل أزمة غلاء الأسعار إلى قرار سياسي يعادل الكفة بين أبناء الوطن الواحد، وينقذ أرواح الجائعين والمحرومين والمعدمين، ويحدد دخلاً خاصاً للفقراء، لا مجرد زيادة في الرواتب؛ لأن المستفيدين من الرواتب فئة قليلة وفيهم الغني، ولكن قطاعاً هائلاً من المواطنين ليس لهم دخل من دولهم، فلا

رواتب ولا مخصصات ولا هبات ولا هدايا ولا إكراميات ولا منح ولا شهادات، بل تأخذ الدول منهم ضرائب وفواتير، فمنهم من يبيع بقرته؛ ليسدد أجور الكهرباء والهاتف، ومنهم من يقترض ليشتري طعاماً لأطفاله.

وقد اشتكى هؤلاء الفقراء وبكوا وصاحوا وناحوا، ولكن هيهات لا مجيب، والواجب علينا جميعاً صنّاع قرار وأغنياء وعلماء ورجال إعلام: أن نهب هبة رجل واحد لإنقاذ هؤلاء المنكوبين في بلادنا، حتى ولو وصل الأمر إلى يوم إعلامي مفتوح لجمع التبرعات، كما فعلنا مع البوسنة والهرسك والشيشان و(الأقربون أولى بالمعروف).

ففي عام الرمادة زمن المجاعة في عهد عمر بن الخطاب فاروق الإسلام رضي الله عنه، رفض أن تميل الكفة لصالح الأغنياء، فأصدر قراراً سياسياً من على المنبر، وأقسم فيه أن لا يأكل أحدُ سمناً ولا سميناً حتى يتساوى الناس، وقام بعملية إغاثة وإنقاذ واستنقار، وأمر الفقراء من شتى الأقاليم أن يرتحلوا إليه في ضواحي المدينة، وحمل الطعام على رأسه، ودخل الخيام يوزعه على الفقراء والمساكين بنفسه، وأرسل إلى عمرو بن العاص والي مصر من قبله يستحثه في إغاثة المسلمين، فأرسل له قافلة وصل أولها في المدينة وآخرها في مصر، حتى رفع الله الضائقة عن الأمة.

ماذا ننتظر ساسة وأغنياء وعلماء، ونحن نرى فقراءنا وأيتامنا في حال مزرية، لا يقرها شرع ولا عقل؟ وإذا لم نبدأ بسد الخلل الداخلي والعوز الاجتماعي والحاجة الوطنية، فلن ينتظر منا مواقف عالمية مشرفة.

سارعوا سارعوا يا صنّاع القرار، ويا أهل الدرهم والدينار، ويا كانزي اليورو والدولار، بإغاثة الفقراء من أهل الدار، وأهل الجوار، قبل أن يغضب العزيز الجبار، ويسخط الواحد القهار.



مع التحية إلى وزير التربية والتعليم

سرّنا ما قام به خادم الحرمين الشريفين من تجديد وإصلاح وتصحيح، وعلى قائمة ما حصل وزارة التربية والتعليم، وإذ نبارك لسمو الأمير الوزير فيصل بن عبد الله بن محمد آل سعود، فإننا نأمل منه كل خير لوزارة التربية والتعليم، حيث ننتقل بتعليمنا من التقليد إلى التجديد، ونجمع فيه بين الأصالة والمعاصرة، والمحافظة على الوحي المقدس والجديد النافع، ونريح الطالب من مواد دراسية لا صلة لها بالدين والحياة، ولا بالآخرة ولا بالدنيا، كمعلومات نظرية قد يستفيدها الطالب من وسائل الإعلام والمجالس العامة، وكذلك إعفاء الطلاب من تكديس المواد الدراسية، وحشر ذهنه بعدة فنون في وقت واحد، وقد درسنا في المرحلة المتوسطة سبع عشرة مادة، حيث أضيف إلى مواد الدين والعربية والرياضيات العلوم من فيزياء وكيمياء وأحياء وجبر وهندسة، وأدب وجغرافيا وتاريخ وثقافة، فذقتنا الأمرين، وضعف التحصيل في المواد الأصلية ولم نعد بفائدة تذكر في المواد الإضافية، وتشتت الذهن، وضاع الجهد، وكلت العزيمة، ووهنت البصيرة.

وأذكر أننا كنا ندرس بالتفصيل والشرح الطويل الصادرات والواردات في دول إفريقيا كساحل العاج والسنغال وأوغندا وتشاد وزائير ومالي، فتختلط علينا صادرات كل دولة بالأخرى، فلا ندري من يصدر الأناناس أو الكاكاو أو المطاط، ودرسنا النحو على شرح ابن عقيل لألفية ابن مالك المؤلف من سبعمئة سنة، كأنه طلاسّم والغاز وأحاجي، وقس على ذلك مواد كثيرة، كقنائض جرير والفرزدق، لينشأ الطالب متعلماً السب والشتم من صغره، والآن جاء دوركم يا سمو الأمير الوزير في مشروع التصحيح والتجديد، ولننتقل بالتعليم من التعسير إلى التيسير، ومن النظري إلى العملي، ومن الكم إلى الكيف، ومن الشمول إلى التخصص، ومن التكرار إلى الإبداع، ومن المحلية إلى العالمية، ولعل الله يشفينا في العالم العربي من المرض الذي أصاب التعليم، فشلّ حركته وأضعف إنتاجيته، فتخرج

مئات الألوف من الطلاب والطالبات، فلم يضيفوا لعالم الإنتاج والصناعة والإبداع والمعرفة شيئاً جديداً وإنما بقي الحال كما هو من قرون، وغيرنا لما تخصص أبدع وأنتج وصنع.

وقد آن الأوان لننتقل في هذه المرحلة من رسالتنا الإسلامية الربانية التي تدعو إلى البحث والازدياد من العلم ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾، وارتياح حقول المعرفة ﴿قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، والعمل الميداني المثمر المفيد ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾. لقد قضينا عمراً طويلاً مع الملققات السبع وشرح غريبها، وقصص داحس والغبراء، والوزير سالم، وعبس وذبيان، بينما العالم يسافر بمراكبه في الفضاء، ويمخر بسفنه البحار، ويعبر بطائراته القارات، والعالم العربي يصارع الفقر والجهل والامية والبطالة.

ونحن بحمد الله واثقون من أنفسنا، فعندنا الميراث المحمدي والتاريخ المشرق، والتجربة الطويلة لحضارة الإسلام، والهمة العالية، وإنما نريد خطة منهجية ونهضة تعليمية، تقوم على الجد والصراحة والتركيز والتخصص ورعاية الموهبة، وتنشيط العقل، وتزكية النفس، وتقويم الخلق، وتهذيب السلوك، وعمارة الدنيا، والاستعداد للآخرة، ونشر الفضيلة، والدعوة للسلام، والتبشير بالإيمان والرحمة والتألف والتآخي، ومد جسور التواصل، وبناء صروح الحوار، وإحياء روح التعارف، والدعوة للوسطية، وإشاعة العدل للموافق والمخالف، والاعتصام بالدليل، والاهتمام بالحجة، ونبذ التقليد العقيم، والتعصب المقيت، والتحزب المشين، وإنما متفائلون بهذه المرحلة التعليمية التي أوكلت إلى الأمير الوزير.

نسأل الله له التوفيق والسداد والإعانة.



مع التحية لمعالي رئيس مجلس الشورى

نحيي معالي رئيس مجلس الشورى الدكتور عبد الله بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ، وعسى الله أن يهيئ له من أمره رشداً، وأننا ننتظر منه ومن مجلس الشورى في عهده الثمار اليانعة، والنتائج الحميدة، بما يعود نفعه على الخاص والعام، ولمعالي الدكتور صالح بن عبد الله بن حميد شكرنا الجزيل وثناؤنا الجميل له ولإخوانه على ما قدموا من جهود مشكورة وأعمال مبرورة، وفي شريف علم معالي رئيس مجلس الشورى، فإن المجلس ينتظر منه البناء والتصحيح، والمراقبة والتقويم، فمجلس الشورى ليس جمعية ثقافية، ولا مؤسسة خيرية، ولا جامعة أهلية، وإنما هو ضمير الأمة، وصوت الشعب، والجسر بين الحاكم والمحكوم، وهو ديوان المصارحة والوضوح، ومجلس المناقشة والشفافية والنزاهة، وليس علينا غضاضة من أن نتحدث علناً عن قضايانا الكبرى المصيرية.

فقد تحدث ﷺ أمام الناس جهاراً نهاراً عن قضايا الحرب والسلام، والمال العام، والمعاهدات، ومخاطبة ملوك الدنيا، والولايات والمناصب. وتحدث أبو بكر الصديق على رؤوس الأشهاد في قضية الردة ومن منع الزكاة، واستشار الناس في مواجهة المرتدين على المنبر. وتحدث عمر عياناً بياناً عن مسائل العدل، وميزانية الدولة، ومحاسبة المقصر، وقضايا الفقر، وحل مشكلة عام الرمادة، والعالم الشرقي والغربي يناقش قضاياها تحت قبة البرلمان نسمعهم ونراهم، ويخرجون بالرأي الصائب الذي يدلهم على مصالحهم، وإنما يضعف مجلس الشورى ويوهنه أمران، الأول: الإغراق في الجزئيات والدخول في تفاصيل التفاصيل لمسائل قد تحل في المؤسسات الحكومية، والثاني: ترحيل الأزمات وتأجيلها والتسويق في حلها.

وإننا ننتظر من مجلس الشورى الموقر أن يهتم بالقضايا الكبرى في الوطن، ولا ينتقل من قضية إلى أخرى حتى يقول كلمته في تلك القضية ويجمع أمره، فعدنا

قضايا الفقر، والبطالة، والإرهاب، ومراقبة العمل الإداري والوظيفي، ومراقبة المال العام، والمصالحة الاجتماعية بين أطراف الشعب، وتقوية الدولة أمام التحديات، والخطاب الإعلامي الراشد، وتصحيح مسار التعليم، وبناء الأسرة، وحفظ حقوق الناس، واستقلال القضاء، وغيرها من القضايا المصيرية الكبرى.

وإن في مسيرة مجلس الشورى السابقة ما يدعو إلى الشكر والامتنان، والعمل البشري والجهد الإنساني يحتاج إلى التجديد والتصحيح دائماً، وبما أننا في وطن قدره الريادة، وحظه مكان الصدارة الدينية والتاريخية، فوجب حمل الأمانة، والقيام بالمسؤولية، والعالم لن ينتظرنا لحظة واحدة إذا سوفنا أو تأخرنا، فكل الدول تتنافس وتتسابق، كلٌّ على شاكلته وطريقته لحفظ مكانته، وتحقيق مكاسبه والوصول إلى مصلحته، ونحن نعيش مرحلة تاريخية حاسمة، كشفت فيها العولة كلُّ سر، وأظهرت كل مكنون، وبيّنت كل خاف، وأعظم حل للخطأ مواجهته لا الفرار منه، والخلل يصلح بالقيام عليه لا بإنكاره، وبما أننا نعيش في كيان جاهد أبناؤه من مئة عام حتى حققوا المكاسب العظيمة، فإن الواجب الاستمرار في العطاء وطلب المزيد والطموح إلى الأعلى، والرقى إلى الأجل، والاعتراف بالتقصير في جوانب، والتجرد في معرفة الحق والصراحة، والوضوح مع النفس ومع الناس، ومخاطبة العالم باللغة التي يجيدونها، والأسلوب الذي يعرفونه، مع الحفاظ على الميثاق الرباني، الذي شرفنا الله بحمله، واستأمننا عليه، وجعلنا نحن الأمة الوسط، والشاهدة على الأمم.

وهذا يضاعف علينا المسؤولية، ويعظم علينا الواجب، فمثلاً لقد وجهه خادم الحرمين الشريفين من سنوات بحل أزمة الفقر في البلاد، وزار الفقراء في أماكنهم، وواجبنا أن نسانده بما في ذلك مجلس الشورى أميناً مشرفاً على حل هذه الأزمة، وعرض المشروع العملي الميداني لمعالجة هذا الداء، قبل أن ينتقل إلى أزمة أخرى، ولا يكفي في حل الأزمات عرض وجهات النظر، والتوصيات الشفوية،

ثورة التجديد

وإسداء النصح الخطابى؛ بل نريد آليات وخططاً مدروسة نلمس آثارها، ونشاهد نتائجها فى حياتنا، أما مهمة التوجيه والنصح والإرشاد، فهى للعلماء والدعاة والمفكرين ورجال الإعلام.

بارك الله فى معالى الرئيس، ووفقه وإخوانه فى مجلس الشورى إلى كل خير، وأرشدهم لما فيه صلاح العباد والبلاد.